ويتحايلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشاوى والجعالات ، وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفى إلى البلاد البعيدة ، ولم يراع فى ذلك أحدا ، سواء كان متعمما أو فقيها أو قاضيا أو كاتبا ، أو غير ذلك بمصر أو غيرها من البنادر والقرى ، وكذلك المفسدون وقطاع الطرق من العرب وأهل الحرف ، وألزم أرباب الإدراك والمقامات بحفظ نواحيهم وما فى حوزتهم وحدودهم ، وعاقب الكبار بجناية الصغار ، فأمنت السبل وانكفت أولاد الحرام ، وانكمشوا عن قبائحهم وإيذائهم ، بحيث إن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا راكبا دابته أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أى جهة ، ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنا لا يرى مكروها أبدا » .

وقال عنه الجبرتى أيضا : (يصف مظهره ومحضره)

« كان عظيم الهيبة ، حتى قيل إن بعض الناس ماتوا فرقا من هيبته ، صادق الفراسة ، متوقد الذكاء يفهم موضوع الدعوى بين الخصمين بغير حاجة إلى ترجمان ، بل كان يقرؤها بنفسه ، وما كان يبصم ورقة تعرض إليه إلا بعد قراءتها وفهم مدلولها . وكان يطالع كتب التاريخ وسير ملوك مصر الغابرين ، ويقول لخاصته إن ملوك مصر كانوا مثلنا من المماليك ، كالسلطان بيبرس ، والسلطان قلاوون ، وإن هؤلاء العثمانيين قد أخذوا مصر بالتغلب ، فيجب أن نسترد البلاد منهم بهذه الوسيلة ، وكان فى حديثه هذا يشى بسريرته ، ويرهص بما حققه بعد ذلك من الاستقلال التام لمصر وتحريرها من التبعيّة العثمانية » .

وكان شديد المراس ، عظيم الهمة ، قوى الشكيمة ، لا يرضى لنفسه